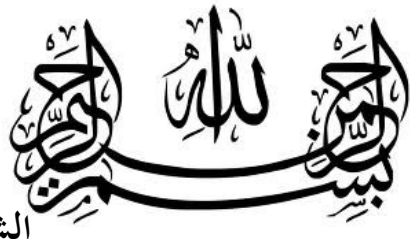

الاثنين 17/2/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة تفسير جزء قد سمع

سورة المجادلة (6)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في دروس تفسير آيات من سورة المجادلة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 20-22].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ .

يُحَادُّونَ: أصل الحد هو طرف الشيء.

يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي يكونون في طرف والله ورسوله في طرف آخر، أوامر الله ونواهيه والسنة الشريفة ونواهيها في طرف وهم على طرف مقابل يفعلون عكس ما يأمر الله تعالى ويأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ .

أي في جملة الأذلاء الذين لا أذل منهم ولا أهون.

يطلب من كل أخ وأخت فينا أن ينظر إذا كان يأتمر بأمر الله أو لا.

قال العلماء: **من جملة الأذلاء الذين لا أذل منهم.**

أي سيصابون بذل ما بعده ذل فضلاً عن ذل الآخرة.

أب لديه مجموعة من الأملاك والعقارات كتب كل أملاكه باسم ابنين من أبنائه على أن يردا إليه الأملاك عند طلبها منهما وإذا مات قُسِّمَت الأملاك على جميع الإخوة، وبعد سنوات مات الأب فجاء بقية الإخوة للأخَوَين فإذا بهما يرفضان أن يردا المال لهم.

شاب كانت له زميلة في الجامعة تبادلا الأحاديث والهدايا وكلمات الإعجاب ومع كثرة المجالسة صار بينهما حب فطلب الشاب من أهله أن يخطبوا له الفتاة، فوعده أهله بذلك بعد التخرج، فبقي الشاب مصاحباً للفتاة ثم ضاق به الأمر فطلب من الفتاة أن يعقدا عقداً من غير علم أهله أو أهلها فوافقت -جهلاً منها أو خبثاً أو غباءً- وأمضيا سني الجامعة الثلاث مع بعضهما يلتقيان من غير علم أحد، ولما تخرجا طلبت الفتاة من الشاب أن يعلن زواجهما فقال الشاب: إن أهلي يقولون: إن مستوى معيشتكم لا يليق بمستوى معيشتنا ثم تركها ومضى..

هذه النماذج في طرف والله ورسوله في طرف آخر.

الخطأ يبدأ من أول خطوة معصية سواء من كلمة أو ابتسامة أو لقاء... والتمادي في هذا الأمر هو تمادي بالخطأ، يودي بك إلى أمر غير محمود على الإطلاق، فالذل والهوان لمن يحادد ويعادي ويشاقق الله ورسوله.

من كان يعرف من نفسه أنه على خطأ فعليه أن يتخذ كل الطرق والأسباب والوسائل حتى يخرج من محادَدَة ومعاداة ومشاقة الله ورسوله بالسؤال والمراجعة لأناس اختصاصيين يساعدوه في الخروج من هذه المسألة وإلا فالقرار ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ .

من الممكن أن تزل أقدامنا بمخالفة أمر الله أو أمر رسوله ولكن ليس عناداً أو إصراراً أو تحدياً لله تعالى.

في الآية لفتة بأن جاءت كلمة يحادون بالفعل المضارع، والفعل المضارع يحمل معنى التجدد، والاستمرارية بالفعل.

- **من كان منا مخطئاً فليراجع نفسه للعودة عن هذا الخطأ والتوبة منه، ولا يصر عليه أو يتأخر.**

اعلم أن: ما قُدِّرَ لماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فويحك كله بعز الطاعة ولا تأكله بذل المعصية.

ابدأ بالذهاب نحو ما يريد الله ورسوله فإن وصلت إليه وصلت وأنت مشكور مبرور، وإن مت قبل أن تصل إليه مت وأنت مشكور؛ لأنك غيرت طريق الخطأ.

روي أن: **الأعشى لما توجه إلى المدينة ليُسْلِمَ لقيه بعض المشركين في الطريق فقالوا له: أين تذهب؟ فأخبرهم بأنه يريد محمداً صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لا تَصِلْ إليه، فإنه يأمرك بالصلاة، فقال: إن خدمة الرب واجبة.**

فقالوا: إنه يأمرك بإعطاء المال إلى الفقراء. فقال: اصطناع المعروف واجب.

فقيل له: إنه ينهى عن الزنا. فقال: هو فحش وقبيح في العقل، وقد صرت شيخاً فلا أحتاج إليه.

فقيل له: إنه ينهى عن شرب الخمر. فقال: أما هذا فإني لا أصبر عليه، فرجع وقال: أشرب الخمر سنة ثم أرجع إليه، فلم يصل إلى منزله حتى سقط عن البعير فانكسرت عنقه فمات [تفسير القرطبي].

- قد يأتيك الشيطان من باب ثانٍ وهو أن هذا الأمر الذي ستقوم به أو ستتركه حاولت سابقاً به غير أنك عدت بعد أيام لما كنت عليه.

جاء عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ**» [مسلم].

فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخبرنا أن لو تبت في اليوم عن خطئك مئة مرة ثم أخطأت فارجع وَتُبْ إليه من جديد جل وعلا.

- وقد يستخدم الشيطان معك حيلة ثانية وهي صعوبة الأمر الذي ستَقْدُمُ عليه، كأن ترجع الملايين من الأموال إلى أصحابها، أو تنهي علاقتك غير الشرعية مع فتاة.

أتاني شاب علق قلبه بفتاة ثم استيقظ إيمانه ليسألني بما عليه أن يفعل، فطلبت منه أن يخرج هاتفه الجوال فيمحو رقمها فوراً ويرمي بكل ما يُذكِّره بها؛ فساعة الإيمان إذا جاءت علينا أن لا نؤخرها ليأتي الشيطان فيفسدها.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ .

نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 171-173].

كن مع أوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ملتزماً بالأمر فأبو جهل ومثله فرعون والنمرود ومن كان على نهجهم الواحد منهم زَبَدَ وَرَعَدَ وَصَرَخَ وَقَامَ وَقعَدَ وَجَمَعَ وَفَرَّقَ ثم مات ونُسي لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخوانه من الرسل كلما ذكروا صلى عليهم العباد.

أحياناً يستعجل العبد النصر لكن أقدار الله وقوانيه تكون أطول من عمر البشر كمثل شجرة الزيتون التي تزرعها فإنها ستخرج زيتوناً سواء أكلت منها أو لم تأكل، فازرع الخير وسيخرج يقيناً.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ .

يختم الله سورة المجادلة بأمر يهمُّنا جميعاً فقد يمشي أحدنا بطريق الخير ثم يرى نفسه على غير ما أراد بسبب نسيان أو غفلة أو انشغال فالله يحذرنا لكي لا نكون من الذين يحادُّون الله ورسوله بل من الذين يحبون ويجالسون من يحب الله ورسوله.

فإذا أردت أن تكون مع الله ورسوله فيجب أن يكون كل جلسائك من الذين يكونون مع الله ورسوله ويتعلق قلبك بمن يحب الله ورسوله، أما إذا تعلق قلبك بمن يعادي الله ورسوله فنخاف أن يأخذوك إليهم؛ لأن **عدوى الروح إلى الروح أقوى وأسرع من عدوى الجسد إلى الجسد.**

قد أضطر إلى مجالسة من يحادد الله ورسوله من صديق في المدرسة أو عمل فلي أن أجالسه لكن لا أعطيه قلبي أو أعلق نفسي به أو أن أرضى بما يفعله، بل أعامله بأدب وبصفات وأخلاق الإنسان المسلم وأدعو الله عز وجل أن يَدُلَّه إلى الخير وأحاول أن أجذبه إليه.

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ .

يعرف الأطباء الإنسان الحي من الميت عن طريق بعض العلامات الحيوية التي يقاس بها كقياس النبض أو الضغط أو الحرارة أو استجابة القزحية...

ومن العلامات الحيوية المشعرة لوجود الإيمان هو أن تجد قلبك يعلق بالذين يوالون الله ورسوله ولا يعلق بالذين يحادون الله ورسوله.

﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

كم يدفع الإنسان مقابل أن يسمع كلمة أن الله يرضى عنك؟!

الْمُفْلِحُونَ: من يفلح في الدنيا فلح في الآخرة.

قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **إِلَهِي! مَنْ حِزْبُكَ وَحَوْلَ عَرْشِكَ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: (يَا دَاوُدُ الْغَاضَّةُ أَبْصَارُهُمْ، النَّقِيَّةُ قُلُوبُهُمْ، السَّلِيمَةُ أَكُفُّهُمْ، أُولَئِكَ حِزْبِي وَحَوْلَ عَرْشِي)** [تفسير القرطبي].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العلمين.